سلسلة الدراسات القبطية
٢١

تأملات
القديس أبيفانيوس

حول أسبوع الآلام

١٩٦٥

يوسف حبيب

سلسلة التراث القبطية
٢١

تأملات
القديس أبيفانيوس

حول أسبوع الآلام

مع

سير القديسين أثناسيوس الرسولي

١٩٦٥

يوسف حبيب

مقدمة

قراءات شهية منوعة خلفها آباء القرون الأولى القديسون فى كافة فروع المعرفة الروحيـــة على مدار السنة فى الأيام العادية والأعياد والأصوام - ولقد بحثت كثيراً فى المخطوطات القديمة بالمتحف القبطى والتقطت درراً ثمينة من عقـــود منثورة لمعلمى الكنيسة القدامى ونعرض هنا تأملات القديس ابيفانيوس رئيس أساقفة قبرص فى أحد الشعانين وفى صلب السيد المسيح ودفنه وقد نقحنا هذه الميامر وهذبنا وصححنا عباراتها وأضفنا اليها ميمر للقديس اثناسيوس الرسولى وبعض أقوال للقديس اغريغوريوس حتى أصبح هذا الكتاب يضم مجموعة من الميامر لا يخلو سطر من سطورها من درة نافعة أو كلمة نفيسة من كلام الحياة ، وقد ضمت معا وكلهـــا لآباء قديسون لهم مكانتهم التى لا تدانى . ويستطيع المتأمل فيها أن يستقين منها تدبير الله وعمـــله واطلاقه المكبلين بالإثم والخطيئة .

هناك من يستقون المياه من الآبار الغريبة كما يقول القديس يوحنا ذهبى الفم ، أما أنتم فليس لكم معلم مثل الكنيسة وهى مثل الأم تصبر على التعب فى سبيل تربية ابنائها وهم أحب اليها من كل شىء ، هكذا قدم معلمو الكنيسة عصـــارة جهودهم وما برحوا يتلقين الروح القدس يقدمون موائد شهية لفائدتنا وقيادة نفوسنا ، فيالها من كنوز روحية يتجلى فيها جزيل تخشعهم فى العبادة والتسبيح بقوة من قبل الموت وأطلق آدم وبنيه من الجحيم السفلى وحـــل المقيدين والمكبلين ورفع عنهم خطاياهم - فلتشملنا نعمته ورحمته ولعظمته المجد والعزة والتسبيح إلى دهر الدهور آمين ؟

يوسف جميل

القديس ابيفانيوس أسقف قبرص

ولد فيما بين ٣١٠ - ٣٢٠ م (١) فى ضيعة بفلسطين من أبوين يهوديين محافظين لشريعة اليهود ، مات أبوه وهو صغير فربته أمه وهذبته بكل تعليم ، ثم تعلم العلوم فى ديارات النساك بتلك الجهة وصار مسيحياً .

أتى إلى مصر فى سن مبكر وقضى حياته الأولى بين رهبانها وقضى معهم زمانا طويلا فتعلم منهم الفلسفة الرهبانية ونبغ فيها وكان عالما فى اللاهوت ومتضلعا فى اللغات يتقن خمس لغات وهى اليونانية والعبرانية والسريانية واللاتينية والقبطية .

كان تلميذاً للقديس ايلاريون الكبير مؤسس الرهبنة بفلسطين، وبعد ما عاد القديس ابيفانيوس إلى فلسطين أسس ديراً هناك ، وإذ ذاع صيت قداسته فى كل مكان أنتخب رئيساً لأساقفة قبرص فعمل وعلم وتفانى فى خدمة شعبه وتسامى فى الفضيلة والعلم والرحمة وكان دائما يفتقد ذوى العاهة والمعوزين حتى أنفق كل ما كان يملكه .

(١) د . أوليرى فى كتابه « قديسو مصر » .

وله مؤلفات كثيرة ظهر منها تبحره فى علوم اللاهوت كما أشتهر بصنع الآيات والعجائب وتنيح فى أواخر سنة ٤٠٣ م وتعيد له الكنيسة القبطية فى اليوم السابع عشر من بشنس بركة صلاته فلتكن معنا آمين .

ونرى أنه من الحق علينا بعد أن ذكرنا التلميذ أن نذكر القليل عن معلمه وهو :

القديس ايلاريون الكبير

ولد حوالى سنة ٣٠٠ م كما ذكر د . اوليرى فى كتابه « قديسو مصر » (١) فى غزه من أبوين وثنيين فأدباه بالعلوم اليونانية وبعد أن نال منها قسطا وافراً تلقى علومه فى الاسكندرية ثم اعتنق المسيحية ... وإذ سمع أنباء القديس العظيم الأنبا

(١) ذكر « شينو » أنه ولد سنة ٢٩١ م بينما ذكر المنكسار (طبعة ١٩١٢) أنه ولد سنة ٣٩٢ م وورد به أن القديس ابيفانيوس تلميذه تنيح سنة ٤٠٣ م (أى أن القديس ايلاريون كان له من العمر ١١ سنة لما تنيح تلميذه) ـ ونميل للاخذ بما ذهب اليه د . أوليرى عن تاريخ ميلاده وهو قريب مما ذكره « شينو » حتى يتفق أيضا ليس بالنسبة لابيفانيوس تلميذه فقط بل بالنسبة لمعلم ايلاريون فانه القديس انطونيوس الذى عاش من ٢٥١ ـ ٣٥٦ م .

انطونيوس انطلق اليه حيث تتلمذ على يديه زمانا ، ثم عاد إلى وطنه وأدخل الرهبنة فى فلسطين وكان معلما للقديس ابيفانيوس . وقد امتاز القديس ايلاريون بشدة نسكه وسلك فيه مسلكا عظيما واوتى نعمة النبوة وعمل المعجزات ، وتنيح حوالى سنة ٣٧١ م (١) وكتب القديس جيروم سيرته مفصلة فى كتاب Nicene and P. Nicene Fathers وتعيد له الكنيسة فى اليوم الرابع والعشرين من شهر بابه بركة صلاته فلتكن معنا آمين، وقيل أن جسده بفرنسا (٢) .

(١) د . أوليرى فى كتابه « قديسو مصر » .

(٢) ذكر « *Chenian* » أن جسد القديس ايلاريون محفوظ بحالة جيدة ضمن كنوز كنيسة دورافيل الشهيرة بفرنسا مع جسدى القديسين بيمن واغاثون، وفى الاحتفال الذى يتم مرة كل خمس سنوات تذهب افواج لا تحصى من الحجاج حتى يومنا هذا للزيارة .

أحد الشعانين

(١) يبدأ (١) القديس اثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية يقرأ ليلة أحد الشعانين .

....لأنه هكذا من شفقته الآن علينا ها هوذا المرسل تلاميذه إلى القرية المحاذية قال لهم انطلقوا إلى القرية التى تقابلنا فستجدون جحشاً مربوط حلوه واتتوا به إلى ، فمضى الرسل تلاميذه القديسيون وحلوا العفو حسب ما أمر به الرب .

يا أحبائى : حل الجحش موهبة، إنها موهبة توهب للكبراء ، كبراء لا بالقدر الجسمانى بل كبراء فى الأمانة والمحبة والعقل والفضيلة ، مثل ما شهد به لموسى أنه صار عظيما فى شعبه ... لأنه ممكن لمن كانوا كباراً أن يحلوا الجحش ، وا أسفاه . . . ليتنى أكون مثلهم لكى أستطيع أن أفك قيود الحاضرين لأن كل أحد منا مقيد بقيود الخطية كما شهد الكتاب قائلا أن كل أحد مربوط بحبائل خطاياه ، فلتهبل إذن لكى يرسل الرب يسوع تلاميذه الينا فيحلونا من القيود المكبلين بها جميعاً فبعضنا مقيد بحب الفضة

(١) عن المخطوطة ٥٩ طقس بالتحف القبطى

وآخر بقيود الزنا ، آخر بالسكر ، آخر بالظلم ... الحاجة ماسة أن يرسل الينا تلاميذه ليحلونا من قيود الشرير ، لأنه هكذا قال لتلاميذه انطلقوا إلى القرية المقابلة فستجدون جحشاً مربوطا حلوه وائتوا به إلي. سمعت القرية المحاذية حلوه من صقع الأرض إلى المدينة ، انها المدينة السمائية ... كما يكتب الرسول المغبوط بولس قائلا ليست لنا ها هنا مدينة ثابتة بل نحن طالبون العتيدة التي صانعها وبانيها الله ، وقال أيضاً انكم لم تدخلوا ناراً ملموسة مضطرمة بل قد دخلتم مدينة الإله الحي أورشليم السمائية ... فارسلوا إذن ليحلوا الجحش لأن حضور مخلصنا ووده للبشر إنما هو استدعاؤنا ثانية من القرية المحاذية إلى أورشليم المدينة السمائية، لأنه حسب ظني أنه من أجل المعصية الصائرة من آدم اخرج من الفردوس ونقلنا إلى القرية المحاذية لأن الله أخرج آدم واسكنه بازاء جنة النعيم ، القرية المحاذية ... ها هم تلاميذ يسوع يحلون الجحش .. أرسل الرب التلاميذ إلى القرية ليحلوا هذا الجحش لأن من أجله أقبل المخلص وخلص الـ ٩٩ خروفا غير الضالة كي يمضي يطلب الضال وإذا وجده سره ...

من أجله أرسل التلاميذ إلى القرية المحاذية لأني أعرف أن قوات غير منظورة كانت تخدم يسوع ، ولعل تلك القوات

أرسلها الرب مع أصحاب بطرس إلى القرية المحاذية ليحلوا الجحش فقد قيل عن الرب أن ملائكة جاءت وكانت تخدمه ، وعن الناس يهتف داود قائلا اعطاهم خبزاً سمائيا ... لأنه لا يستطيع من يهوى أمور الجسد أن يصل إلى هذه المدينة الكبرى ، بل الذي هو هكذا هو مقيم بعد في القرية ، لأن هوى الجسد هو عداوة لله ، فينبغي إذن لساكن القرية الا يكون متصرفا في مدينة النفس... لأنه إذا تصرف أحد الناس في مدينة الفضيلة والعفاف وأشار بالحكمة وعكف على النسك حينئذ يصير نظير القديسين لأن القديسين ليست لهم ها هنا كما سبقت فقلت مدينة راحة بل هم طالبون العتيدة التي صانعها وبانيها الله ...

فلما مضى التلاميذ حلوا الجحش لأن لهم خاصة أن يحلوا هذا الجحش ، لأن كثيرين يظنون انهم تلاميذ يسوع المسيح - ليسوا عاملين بل غاشين مثل يهوذا ... قد كان للجحش أصحاب كثيرون لأن أصحاب الجحش قالوا للتلاميذ لم تحلوا الجحش ؟ ولعلهم قالوا لهم أما تبصرون يا قوم كيف هو مربوط وهو مسلم الينا فلم تأخذوه منا ؟ إنه يساعدنا في عملنا ولم تحلوا أملنا . . . ؟ انكم تريدون أن تعدمونا هذا وهذا أن انحل من القيود فنحن لا محالة نفيد عوضا عنه ، وان عتق هذا فنحن نشجب بدله - لأن

الشياطين كانوا خائفين لما أبصروا الجحش انحل ، واضطربت القوى المضادة لما أتى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وعلموا بقدومه. تفرقوا وفزعوا لما سمعوا الرب يقول لتلاميذه قد اعطيتكم سلطانا تدوسون الحيات والعقارب وعلى كل قوة العدو ، وهبوا لما سمعوه يقول انطلقوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس ، وخشوا لئلا يكون هذا هو الذى ينير الظلمة ، لأنهم سمعوا النبى قائلا الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نورا عظيما .

كان الكل يحيط بالجحش ، كل أصحابه جالسون يحرسونه . أترى لو كان هذا شيئاً محسوساً كان كل أصحابه يجلسون يرصدونه؟، يكون ملكا لأصحاب كثيرين وكل مالكيه يجلسون جواره ، ولا يتجرأ أن يمشى أحدهم فى سوق ولا يكون لهم عمل آخر ، كلهم يجلسون بازاء حمار ، ويربط حمار محسوس على قارعة الطريق ولا يكون له مذود ولا يمضى إلى حقل ... هل يربط جحش على قارعة الطريق وكل أصحابه يجلسون يحرسونه ؟ . إنى أقول هذه الأقوال ولست مبطلا الرواية لأنا لسنا نبطل بالروح ما هو مكتوب بل نحفظ القوة التى للروح بالمكتوب لأنه بالحقيقة قد جلس الرب على حمار حتى فى دخوله من بيت عنيا إلى أورشليم

لأنه هكذا قال النبى قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً وجالسا على اتان وجحش بن اتان ، فإذن الرواية صادقة لكنى أطلب الأمور التى ترمز اليها والتمس قوة الروح ...

قد جلس على جحش ونحن لا نشك ولا نجحد مجيئه بالجسد لأنه من أجل هذا أقبل لكى يجد إلهنا لك ... ولكى يسترجع الضال ... إن الإله المحب للبشر الذى من أجله أقبل يوعز إلى تلاميذه قائلا لهم انطلقوا إلى القرية التى أمامكما تجدان جحشا مربوطا حلاه وائتيا به إلى ... خيرات عظيمة منحنا الرب إياها لأنه لم يحمل قيودنا من الخطية فقط بل منحنا سلطانا أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو لأن الشرير وضابطى ظلمة هذا العالم أسرونا فقيدونا وربطونا بقيود لا تنحل ولم يكونوا يسمحون لنا أن نسلك الطرق الصالحة ، كنا معهم مقيدين وهم أيضاً بحذائنا جلوس . قوم أشرار وسادة قساة لكن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح أقبل ليعطى اطلاقا للأسورين والبصر للعميان ... وبالجملة أرسل تلاميذه فحلوا الجحش ، وأعد له مرعى لأن النبى يوضح هذا : « الرب يرعانى فلا يعوزنى شىء وموضع خضرة هناك اسكننى وعلى ماء الراحة ربانى ... » - وقال أيضاً يرسل للبهائم عشبا وخضرة لخدمة الناس ...

فلنرجع منذ الآن يا أحبائى لنقبل الخيرات الواردة الينا فلنستطيع أن نقول مع داود النبي: أعددت قدامى مائدة مقابل الذين يحزنونني » .

وقبل الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه ، ولعل من أجل هذا الجحش اضطجع يسوع فى مذود . ألم يكن ليوسف موضع ؟ قد كان رجلا شريفا وانسانا منسوبا إلى جنس ملكى ، كان ابنا لداود . أفلم يكن له موضع الا هذا ؟ ألم يوجد موضع آخر ؟ . لكن من البين أن الأمور المدبرة كانت أموراً الهية ، وحقا أن خصمنا الشيطان حين شاهد هذه الأمور حسد جنس البشر .. فلنفحص ذواتنا ان كانت القيود قد حلت ، ولنقبل إلى ما هو أفضل ، وإن كانت قيودك لم تحل بعد فاذفع ذاتك إلى تلاميذ يسوع فقد أخذوا من المخلص سلطانا مثل هذا : « ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ... » وقال أيضاً : « من غفرتم لهم خطاياهم غفرت لهم ومن امسكتموها عليهم أمسكت » . سعداء هم الذين غفرت خطاياهم وسترت آثامهم .

قال أصحاب الجحش للتلاميذ لم تحلون الجحش ؟ فأجاب التلاميذ أن صاحبه محتاج اليه .. أنظر إلى إجابة التلاميذ الحكيمة فإن أصحاب الجحش الكذبة لما سمعوا أن صاحب الجحش

الحقيق فى حاجة اليه ولوا ظهورهم ولم يجيبوا بل اسرعوا إلى رئيسهم الشرير ليخبروه بالأمور التى عرضت ... هناك المؤامرة على الرب ، لأن هناك التأمت القوى الرديئة ، هناك محفل الأشرار كى يتم قول النبي : « قامت ملوك الأرض والرؤساء اجتمعوا معاً على الرب وعلى مسيحه » لأن الاباليسة قالوا لرئيسهم الشرير ماذا نصنع ؟ الجحش قد حل ومضى إلى صاحبه ومن الآن ليس تحت طاعتك ولا تملكه . فكر إبليس ماذا يصنع بيسوع واجتمع الفريسيون والكهنة إلى دار قيافا واشتركوا فى الرأى على المسيح ليهلكوه ... فاذ قد تحررنا من استعباد الشيطان فلنعرف المحسن الينا ربنا يسوع المسيح الذى له المجد إلى الأبد آمين .

† † † † †

(٢) ميمر (١) القديس ايفانيوس رئيس أساقفة قبرص يقرأ باكر يوم أحد الشعانين .

افرحى أيتها المتعم عليها .. اطربى وابتهجى يا كل كنيسة الله لأن ملكك يقبل اليك، وهذا هو ختنك آتيا اليك ، فلنخرجن

---

(١) عن المخطوطة رقم ٩٠ طقس بالتحف القبطى .

فى استقباله ولنسرعن لنبصر مجده ، ولنبادرن فى ذلك لأنه قد قدم لخلاصنا ، الإله أتى إلى الصليب ليمنح العالم خلاصا . الظلمة تضمحل ... النور يبزغ والضلالة تكف والحق يزهر ... والجمع أيضاً يرتل ... اللعنة تنحل واليهود يفلقون أيضاً ، التنين يفسحق ، الأمم تسر... المسيح آت جالسا على جحش يجلوسه على العرش ، ايتها السموات افرحى ، ايتها الجبال والآكام ابتهجى ، ايتها الأنهار صفق .

الملائكة تسبح والكنائس تفرح ... اسرعوا ايها الشيوخ واهتفوا أيها الشبان ، اجتمعى ياكل الأرض . ليستقبل كل سلطان وكل رياسة وكل مملكة ملك الملوك استقبالا ملكيا ، يسجدون بجوداً سيدنا لسيد الكل ويسبحون تسبيحاً إلهيا لإله الآلهة وهم فى عرس الختن كما يليق بالإله وتتلألأ المصابيح البهية بضوء بهى .

لنبدل ثياب أنفسنا تبديلا لائقا بالإله ، ولنفتح للملك مداخل النفوس ، نحمل خوص الغلبة من النخل لأنه ظافر ، ونلوح بأغصان الزيتون للغصن الذى من مريم ، نمدح مع الملائكة المدائح ونصرخ مع الصبية ونهتف مع الخلق أجمع ، أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب ، الإله الرب ظهر لنا ، لقد ظهر لنا

نحن الجالسين فى الظلمة وظلال الموت ، هو قيامة الذين سقطوا ، ظهر مطلق المسبيين ، ظهر معيد البصر للعميان ، ظهر عزاء الذين ينوحون ، هو راحة المتغربين وفرح الظامئين ... وشفاء السقماء ... لذلك نهتف إلى المسيح مع الملائكة قائلين أوصنا فى العلا .

يا لها من أمور عجيبة ... أمس أقام المسيح لعازر من الأموات ، واليوم هو مقبل إلى الموت ، أمس وهب له الحياة واليوم يقبل إلى الألم ، أمس حل أكفان لعازر ، واليوم بإرادته يقبل ليشد بالأكفان ، أمس أخرج من الظلمات انسانا واليوم هو آت ليوضع فى مواضع مظلمة ... إلى الموت من أجل الإنسان ... هلموا إلى لقاء القادم لنشكره ، هلموا نفعل ما فعلته مريم أخت موسى بأصوات تفوق تلك الأصوات ... لا نمسك دفا بأيدينا لكن سعف النخل وقلوب الزيتون ونصيح أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب ...

نعيد فى بيت الله أعياداً ... الزيتونة كثيرة الثمر ـ مظللة بورق لايفتر ، السوسن فى بستان ربيعى ... فيه المسيح الذى هو السوسنة الدائم ثمرها حقاً ... ، فيه البنفسجة التى تشفى حقاً آلام المرضى ... ، فيه الكرم للقائل أنا هو الكرمة الحقيقية ، انهما

الزيتونة ذات الرحمة ، الراحم حقا المتوكلين عليه ، والغصن الذى تفرع من أصل سى الذى قبل الدهور ، غير المقلع وغير المزروع الذى فيه الحيـــاة الدائمة النبع ، ليس فيه فقط انهار سيحون وجيحون أو الدجلة والفرات بل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . هم يسقون كنيسة المسيح كما يسقى الغيث البستان . تثمر الزيتونة ثمراً وتنمو أغصان الزيتون ، ابناؤها مغروسون فى بيت الرب ومزهرون فى ديارة كالأزهار الربيعية ...

لنعيد عيداً روحانيا ولنهتف مع بولس الأمور القديمة قد عبرت وها قد صارت كل الأشياء جديدة .

افرحوا بالرب ، افرحى يا كنائس المسيح . . . ترى الآن وابتهجى يا أورشليم ، اطربى واجزلى يا ابنـــة الله لأن لك كل مجـــد الإله ، يا ابنة المسيح الملك ، لست أرملة بل لك الإله وتصيرى مزهرة . . . اطربى يا كل كنيسة الله ، أرفعى عينيك وابصرى أولادك ملتئمين بعد أن كانوا مبددى الشمل فى الأمم ، انظرى اتفاق الشعوب ، ابصرى كل الألسن فى مجد واحـــد ، انظـــرى المراتب كمراكز للملائكة واسمعى التسابيح تهليل الملائكة ، ابصرى الصبيان مثل الخراف وهم يقولون أوصنا مبارك المسيح الآتى .

فلنصفق معهم بيد واحدة ولنهتف بصوت واحد قائلين بشكر ها أنذا والغلمان الذين اعطانيهم الله ، فلذلك مبارك أنت يا من أتيت وتأتى أيضاً باسم الرب إلهنا يا من لا تمسك فى أى موضع .

مبـــارك الآتى على جحش . . وهو الجالس على عرش الشاروبيم ...

الآن نسمع ما يقوله المشيد بالأمور الجليلة والمبشر عن العيد ، ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبـــل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين وقال لهما اذهبا إلى القرية التى أمامكما والوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلاهما واتيانى بهما ، فذهب التلميذان وصنعا كما أمرهما يسوع وأتيـــا بالأتان والجحش ووضعا ثيابهما عليهما واركباه ، وفرش الجمع الكثير ثيابهم فى الطريق وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر وفرشوها على الطريق ، وكان الجموع الذين أمامه والذين وراءه يصرخون قائلين أوصنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب أوصنا فى الأعالى متى ٢١ : ١ - ٩ .

أن الخلق المتجمع أخذ سعف النخل وخرج لاستقبال يسوع ، والمتقدمون والتابعون كانوا يهتفون ويقولون أوصنا لابن داود

مبارك المقبل باسم الرب ، هذا هو الحضور السيدى ، العيد الحاضر ، اتيان ملك الملوك .

ليمدح كل فم مفتوح وروح ، تهتف الشاروبيم قدوس قدوس قدوس الرب الصباؤوت ذو الثلاثة التقديسات السماء والأرض مملوءتان من مجده ، وتسبحه السارافيم وتكرز الأنبياء . ولتفرح السموات ولتبتهج الأرض وليقولوا سرى جدا يا ابنة أورشليم . نحن نبصر حمل الله الحامل خطايا العالم فنكرز بالهنا لا نحسب معه إلها آخر ...

اقيموا عيداً فى المظلين حتى قرون المذبح ، لأنه هكذا يكمل اتفاق تصويت ، مصاف الآباء ومجامع الصديقين وأرواح الأنبياء وفتيان اليهود والأطفال وجمهور الملائكة .

كان بعضهم يبسطون اجنحتهم وبعضهم يمسكون خوصا ، آخرون يجرون إلى الأمام وآخرون يركضون من الخلف ، وآخرون يقطعون اغصانا . آخرون يضفرون السعف وآخرون حلوا الجحش وقوم كانوا يفرشون ثيابهم ، وقوم كانوا يفتحون الأبواب وقوم كانوا يمهدون الطريق... وكثيرون كانوا يهزون الأغصان وآخرون كانوا يقولون للصبيان سبحوا أيها الفتيان الرب والصبيان كانوا يجاوبون، أوصنا مبارك الآتى باسم الرب...

يا لها من عجائب ... الصبيان كانوا يتكلمون باللاهوت عن المسيح انه الإله ، والكهنة كانوا يفترون عليه . الرضع كانوا يسجدون له والمعلمون ينافقون ، الصبيان يقولون أوصنا، واليهود يصرخون فليصلب . اولئك كانوا بالخوص يهتفون إلى المسيح وهؤلاء كانوا بالسيوف مقبلين نحوه ، اولئك كانوا يقطعون أغصانا وهؤلاء يعدون خشبة الصليب ، الأطفال كانوا يفرشون للسيح ثيابهم والكهنة كانوا يمزقون ثياب المسيح . الصبيان رفعوا المسيح على الجحش والمشائخ علقوه على الصليب ، الصبيان سجدوا عند قدمى المسيح والشيوخ سمروا رجليه بمسامير ، الصبيان كانوا يقدمون له تسبيحا والشيوخ قدموا له خلا ، الصبيان قدموا للسيح إكراماً وهؤلاء قدموا للمسيح مرارة ، الصبيان يهزون السعف وهؤلاء ينخسونه بحربة ، الصبيان ينشدون بالفرح وهؤلاء يطعنون جنبه . الصبيان يسبحونه وهو راكب الجحش وهؤلاء يبيعونه . لقد عرف الثور قانيه لما ولد على المذود وحمار وشعب الأمم ائتمر لصاحبه الا اسرائيل وحده لم يعرف المسيح إلها .

القبائل الغريبة قديماً أحبت المسيح والذين كانوا بلا ناموس صاروا ذوى ناموس ، أما أصحاب الناموس فأصبحوا مخالفيه .

هيك لم توقـــر الأنبياء وقتلت الكهنة والناموس نقضت وللأقوال الموسوية أبغضت وللشرائع خالفت وبالمسيح ما آمنت ولأعجوبة لمازر ما صدقت ولما أبصر العميان ما آمنت ، فماذا لك أن تقول عن هؤلاء الأطفال الرضع وماذا عن تسابيحهم ؟ قل لي من علمهم أو أرشدهم، من حكمهم ؟ من أعطى غير القادرين على النطق التكلم بغتة الا المسيح الكلمة الذى هو قبل الدهور...

ماذا تقولون يافتيان ، ايها الصبيان المسجون من أين لكم هذه النسبحة المناظرة للتسابيح الشـــاروبيمية ، بألحانهم متمتم لما ابصرتم المسيح راكبا الجحش متمتم أوصنا فى الأعالى كما يليق بالإله ، فيجيب الصبيان الناطقون نعم نسبح المسيح الذى جلس على جحش وهو لم يفارق البتة حضن الآب وإن كان جالسا على جحش ، فهو لم يبارح العرش الشاروبيمى ... أنه الضابط الكل والمالك العالم وصاحب الأمم ، والاله الحق رازق ، وخالق ، ومهدى ، دخل إلى أورشليم السفلى ومن أورشليم العليا لم يخل ، هو صانع الدهور ومنذ الدهور وإلى الدهور . هو الذى بسط السماء وحده ، هو الذى يمشى على البحر كالبر ، هو الذى غشا البحر بالضباب ، هذا الذى وضع الأقفال على اللجج وجعـــل للبحار حدوداً ... هذا هو الذى ترهبه الشـــاروبيم وتفرقه

السارافيم ، ولهذا تسبح الشمس ويمجد القمر ، تسبح الينابيع والأعماق ... هو صانع الخلائق التى فوق والذين هم أسفل، صار بتدبيره إنسانا وهو الاله ، هو مسيح واحد وابن واحد وروب واحد وليس اثنين ، بلا استحالة ، بلا انفصال ولا تغيير ،أسفل يسجد له من المجوس وهو فوق جالس مع الآب ، أسفل يجوع مثل إنسان لكنه فوق هو خبز الحياة ... يتعب بحسب الإنسانية لكنه هو نفسه راحة المتعبين ... مثل انسان يقدم للموت لكنه قد أبطل الموت بموته ... كان الصبيان يهتفون ... وبينما كانت هذه الأمور تكمل دخل المدينة أورشليم فاضطربت واهتزت قائلة من هذا ؟ فأما الجموع قالوا هذا هو المسيح بن داود ، يدخل إلى الهيكل من هو فى القداسة أقدس من الهيكل فأخرج منه الكهنة الذين ليسوا بكهنة ، فأما الصبيان فكانوا يجولون فى المكان كما يليق بالكهنة قائلين أوصنا لابن داود ، سلامة فى السماء . مجد فى الأعالى .

لما ولد المسيح فى بيت لحم كانت قوات السماء تهتف المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام،والآن يصرخ الصبيان السلام فى الأرض وفى السماء ...

هلموا الآن يا محفل كنيسة الله الجليلة المستقيمة المعتقد تأملوا

فيما هو زائد سراً كيف وبأى حال كان قصده الخلاص ، ولأى حال يسوع الذى كان فى كل موضع يمشى راجلا ... جلس على بهيمة مرفوعا عليها. أجل كان ذلك دالا على رفعه على الصليب (١) وما هى هذه القرية إلا التى اقتناها الإنسان الذى أسكن بجوار الفردوس الذى أرسل اليه المسيح تلميذيه أعنى عهديه ، وما هو الاتان إلا الزمرة الماجرة العتيقة وما هو الجحش إلا الشعب الغير مروض شعب الامم الذى لم يجلس عليه أحد من الناس ، لا ناموس ولاخوف ولاملاك ولا كتاب ولا موسى بل كلمة الله نفسه . . وما هو حـــل الجحش ؟ أنه بلا شك التحلل من الضلالة والأصنام .. وما هو فرش ثياب الصبيان أنه الإنسان

(١) الجحش الذى ركبه خلاصنا هو رمز عن كنيسة المسيح التى تجمع الأمم . وقد ركب الأتين لتتم نبوة زكريا النبى القائلة « هوذا ملكك يأتى اليك . . وراكبا على حمار وعلى جحش بن اتان زك ٩:٩ (ركب الاتان أولا ثم الجحش أى أنه جاء إلى اليهود أولا ثم إلى الأمم لما لم تقبله خاصته) .

وفى هذه المرة لم يركب يسوع لتعبه لأن الرحلة قصيرة من جبل الزيتون إلى أورشليم أقل من ميلين لكن أتعابنا للنبوة مشيراً بركوبه إلى زوال الاتعاب والاحزان من جنسنا عندما يخلصنا بالصليب — وركب جحشا ليسحق كبرياء إبليس وليعلمنا الاتضاع ...

العتيق ، ومن هم الأطفال الناطقون بالإلهيات انهم نماذج الشعب الجديد وأولاد كنيسة المسيح .. وما انحدار المسيح من جبل الزيتون الا تنازل كلمة الله من أجل رحمته الينا من السماء وما هى اغصان الزيتون (١) إلا أولاد كنيسة المسيح المثمرة . . .

وما سعف النخل (٢) إلا قلوب الصديقين النقية والبيضاء الناظرة إلى السماء وهى علامات لغلبة المسيح لإبليس والجحيم والموت ، والجموع المتقدمون هم الذين حفظوا الوصايا مثل الرسل والتابعون هم المؤمنون والمدينة هى أورشليم السمائية والهيكل هو ملكوت السموات ... وهكذا تأمل أسرار السيد معيداً كل حين

(١) الزيتون له خاصتان الرحمة لأن شجر الزيتون لايعرى لا فى الصيف ولا فى الشتاء بل يحافظ على ورقه وهو دسم يعطى الوجـــوه لمعانا كقوله دهنت رأسى بالدهن ، هكذا السيد المسيح هو رحـــوم لأنه رحم جنسنا وابهجنا بخلاصه لنا ، وبورقة الزيتون بشرت الحمامة نوحا بنهاية الطوفان والسيد المسيح هو إله السلام .

(٢) أغصان النخل يرمز بها إلى انتصار الأمم على إبليس والشجر رمز للاعداء الذين قطعوا كما تقطع الأشجار وطرحوا تحت أقدام المؤمنين — والنخل مستقيم فى الأرتفاع كما أن أحكام السيد المسيح مستقيمة كقول المرنم « أحكامك عادلة وقضاؤك مستقيم » وثمره حلو كتعليم المسيح الحلو ، وسعف النخل أيضا كما أن المسيح نور العالم وورق النخيل لها رؤوس كالإبر إشارة إلى الصليب الذى هو حربة المؤمنين المسنونة ضد إبليس .

عيداً بهيجاً لهذا اليوم مع الملائكة سبح ، مع الصديقين مجد ، مع الابرار ابتهج ، مع المحافل صفق ، مع الوالدات تعجب ، مع الرسل أكرز ، أتبع المسيح وقرب له هذا الجحش ، اطلق الكثيرين من الضلالة ، اصعد أنت إلى أورشليم إلى فوق ، واطلع إلى قدسات القديسين وحل فى مكان الكهنة مادحا الله أحسن المديح أوصنا مبارك الآتى باسم الرب الذى له المجد إلى الأبد آمين.

(٣) من مبمر للقديس مار يعقوب السروجى على ركوب السيد المسيح الجحش (١) .

أيها النبع المحيى الذى شرب منه الأموات وعاشوا ، اعطنى ذاتك لأروى عطشى من ينبوعك ، أيها النبع الذى جرى فى الأرض العطشى فأعطت الأثمار ، اسقنى منك لأفرح بنعمتك ظاهراً يا ابن الله الذى دعا نفسه مياه الحياة . اعطنى لأشرب منك وأتكلم معك أيها البئر الجديد الذى نقروه بالرمح على الجلجثة أعطنى شراباً لأسقى العالم المحتاج لينبوعك ، أيها البحر الذى نزل من رأس العلو للأرض ... أعطنى كلمة لأنى حسن اتضاعك ، حبك أنزلك من المركبة للجحش ، من ذلك الظهر الممتلىء عيوناً إلى المركوب الذى ليس فى العالم أحقر منه ، من العساكر القائمين حولك للجمع القليل الحاملين الأغصان ... من عظمة الكرسى الممتلىء نوراً للاتضاع بالمحبة مع التلاميذ ... أنت الممجد بأغصان النخل فى الجماعة ، أنت فوق وأسفل ... أنت عمانوئيل ... ها يباركونك الشاروبيم وتسبحك السارافيم وكل القوات

---

(١) عن المخطوطة ٥٩ طس بالمتحف القبطى ـ وجزء فى شكل صلاة .

السمائية ومع الأرضيين جيلك مختلط باتضاعك ، بإرادتك بلغت حد الاتضاع ، وذلك المراكب المزينة التى للسادة وركبت الجحش لتفتقد شعبك بالاتضاع . نظر أولاد العبرانيين اتضاعك ، حملوا الأغصان ليسجدوا لك بتمجيد ، ظلك الشيوخ وتحرك الأطفال ليسبحوك ، أوفى الصبيان التمجيد الواجب على الشيوخ وأتقنوا التسبحة المطلوبة . سدت أفواه الكهنة والكتبة وانطلقت ألسنة الأطفال وهتفوا بتمجيدك ، صرخ الودعاء مبارك الآتى باسم الرب ، أعدوا طريق الابن الملك الآتى ، بالمجد الجديد نحتوا الأشجار ليعطوا الأغصان لإعداد الطريق للثمرة الحلوة التى أعطت للعالم الكرمة المباركة .

ضفر الأطفال إكليل التسبيح بفرحهم لعتيق الأيام ، من أجل هذا فلنصرخ معهم أوصنا فى الأعالى مبارك الآتى باسم الرب . . .

يوم الجمعة العظيمة

(٤) ميمر للقديس ابيفانيوس على نزول الرب إلى الجحيم يقرأ بعد صلاة الساعة التاسعة (١) .

. . . كيف يحسب مع الموتى الحر من الموت ، كيف إنطلق النور ماضياً إلى الظلمات ، بلا شك إنه ينطلق بطلب أول الجبلة - الخروف الضال ، إنه ماض ليحل آدم المأسور وحواء معينته فى الأسر . . . آدم أول الخليقة مقيد . قبل كل الموتى مقيد أسفل كل المسجونين ، هناك هابيل أول المقتولين وأول الرعاة الصديقين ، نوح الذى يرمز إلى المسيح الذى عمل رسم كنيسة الله التى خلصت الكل من طوفان النفاق . . . هناك ابراهيم الذى ذبح لله ذبيحة كاملة ، هناك اسحق مقيداً من ابراهيم رسماً للمسيح ، هناك يعقوب فى الجحيم السفلى ذاك الذى كان من قبل حزيناً من أجل يوسف ، هناك يوسف الذى كان مقيداً فى حبس مصر . . . موسى فى الظلمات أسفل كما كان فى ظلمات السفط ، هناك دانيال فى الجحيم ذاك الذى كان فى أعماق الجب ، هناك

(١) عن المخطوطة رقم ٢٩٦ طقس بالمتحف القبطى من القرن الرابع عشر

يونان النبي الذى كان فى بطن الحوت . . . هناك يوحنا ذلك الأعظم فى كل الأنبياء . إن الأنبياء وكل الصديقين كانوا يوجهون إلى الله من هناك طلبات بلا فتور ولا إنقطاع فى سر مكتوم طالبين الفداء . .

كان بعضهم يقول من بطن الجحيم ، أيها المسيح اظهر وجهك ، آخرون أيها الجالس على الشاروبيم انظر ... وآخرون اتذكرنا رأفاتك . . .

ظهر للنفوس بنفسه الطاهرة ، مخلصة من جسده لا من اللاهوت ، كسر المسيح الباب بالصليب ، كسر بالمسامير الإلهية المتاريس الرهيبة ، فك القيود برباط يديه الإلهية . . .

إرتفعت الأبواب وتزلزلت أساسات الحبس وإنهزمت القوات المضادة .

يسوع يتحدث :

أسلمنى اليهود فى بستان وصلبت فى بستان ، رضيت أن يبصق فى وجهى من أجلك أيها الإنسان حتى أعيد إليك النفخة القديمة . أنظر إلى لطم خدى الذى أرتضيته من أجلك لأقوم صورتك وأردها إلى الصورة الأولى ، أنظر إلى جلد ظهرى الذى أرتضيته لأبدد قيود خطاياك الموضوعة على ظهرك ... أبصر

يدى اللتين بسطتهما حسناً على الخشبة من أجلك ، أنت الذى مددت يدك مداً رديئاً إلى الشجرة ، أبصر رجلى اللتين سمرتا وثقبتا على الخشبة من أجل رجليك اللتين سعيتا إلى الشجرة سعياً رديئاً . . .

فى اليوم السادس أخذت القضية ، وفى اليوم السادس أعدت لك الحياة وفتحت الفردوس ، من أجلك ذقت صبراً كى أشفيك ، شربت خلا لأبطل كأس الموت ، قبلت أسفنجة لأمحو صك خطاياك ، أخذت قصبة لأكتب التحرير لجنس البشر ، رفعت على الصليب ، طعن جنبى بحربة من أجلك ... أخرجت حواء من جنبك . . . حربتى أوقفت الحربة الراجعة إليك . . .

أخرجتك من أرض الفردوس وها أنا أردك إلى الفردوس أيضاً بل إلى العرس السمائى . منعتك من شجرة مرسومة للحياة وأمرت الشاروبيم أن يحفظك كما يليق بعبد ، هأنذا ادخلك الفردوس لتسبح مع السارافيم بحمد . . . اخلعت من الإله عارياً ولبست ثوب جلد ، ثوب الخجل . . .

فلذلك قوموا بنا نرحل من الموت إلى الحياة الأبدية ... من الضيقة إلى نعيم الفردوس ... قوموا لنسير لأن الرب السمائى ينتظر الخروف الضال ، التسعة والتسعون خروفاً ينتظرون آدم

حتى يقوم ... وفيما كان السيد قائلا هذه الأقوال ... أقام معه آدم وقامت معه حواء وأجساد كثيرين فله المجد دائماً أبدياً آمين ؟

† † † † †

يوم سبت الفرح

(٥) ميمر للقديس ابيفانيوس على وضع جسد سيدنا ومخلصنا فى القبر يقرأ فى الساعة الثالثة .

... ماهذا السكوت العظيم والهدوء ، منذ الآن سكون عظيم لأن الملك نائم ، الأرض جزعت وصمتت لأن الإله قد مات بالجسد والجحيم ارتعد ، الإله نائم نوماً يسيراً وأقام الذين كانوا فى الجحيم منذ الدهر ..

أين الاضطرابات والقلاقل والأصوات ضد المسيح ، أين المنافقون ، أين الجموع وأصحاب المراتب ، أين الملوك والكهنة والقضاة والجند ، أين المصابيح والسيوف ... غاب إله الشمس تحت الأرض وصنع ظلمة مدلهمة لليهود ... الإله مقبل من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى تحت الأرض ، أبواب الجحيم تفتح ...

أيها الراقدون منذ الدهر ابتهجوا ، يا أيها الجالسون فى الظلمة وظلال الموت اقبلوا النور العظيم ... الإله مع الموتى ، الحياة مع الأموات ، الذى لا ذنب له مع المذنبين ... من هو فوق أعلى السموات مع الذين هم أسفل .. المسيح مع الموتى فلنتحدر معه ولنتعلم الأسرار التى هناك ولنعرف عجائب مكتومة تحت الأرض ....

أمس كان يلطم واليوم يلطم مسكن الجحيم ببرق اللاهوت ، أمس كان مقيداً واليوم يقيد العدو بقيد لا ينفك ، أمس كان محكوماً عليه واليوم وهب العتق للمسجونين ، أمس خدام بيلاطس يستهزئون به ، واليوم أبصره بوابو الجحيم فجزعوا ... إنهم صدموا الصخرة الصلبة لكن أمواجهم تحللت إلى زبد ، عثروا بالسندان الذى لا ينقلب لكنهم هم إنكسروا ... رفعوا الصخرة على خشبة فانحدرت وقتلتهم ...

عند ميلاد المسيح بشر ملاك مريم الوالدة وعند قيامته بشر ملاك مريم ، فى بيت لحم ولد المسيح ليلا وبالليل أيضاً ولد ثانية ، كان بمغارة لما ولد وأيضاً لما ولد ثانية كان بمغارة فى صخرة ، فى المولد ارتدى أقاطاً وهنا لف بأكفان ، لما ولد قبل المر ولما دفن قبل المر والصبر ...

هناك يوسف رجل مريم . . . وها هنا يوسف الذى من الرامة ، فى بيت لحم المولود صار فى مذود وفى القبر وضع كما فى المذود .

قبل الكل بشر الرعاة بميلاد المسيح ، وقبل الكل بشر الرعاة تلاميذ المسيح . . . هناك هتف الملاك إلى البتول افرحى . . . وهنا صرخ إلى النساء . . . بعد أربعين يوماً دخل إلى الهيكل ، وبعد أربعين يوماً صعد إلى أورشليم العليا ، وكما أن المسيح ولد من البتول وهى عذراء كذلك رقد المسيح الثانى والقبر مختوم . . .

أقبل انسان غنى أسمه يوسف ، حقاً إنه غنى لأنه إستحق أن يأخذ الدرة التى لا ثمن لها . . . يوسف أهل للديح لجرأته عند بيلاطس إذ دخل طالباً جسد يسوع ، وكان حكيماً فى طلبه فلم يستعمل ألفاظاً ضخمة عن المسيح لئلا يثور بيلاطس فلا ينال طلبه ، فلم يقل اعطنى جسد يسوع الذى بسببه أظلمت الشمس والصخور تشققت والأرض زلزلت والقبور تفتحت وحجاب الهيكل إنشق بل قال جسد ذلك الناصرى المسكين لأستره ، يسوع المعلق عارياً . أعطنى هذا الغريب ، أطلب منك ميتاً مظلوماً . .

ترى يا يوسف من طلبت فأخذت ، ترى لما دنوت من

الصليب وانتزعت يسوع من المسامير عرفت من حملت ، إن كنت حقاً عرفت من أمسكت فقد صرت غنياً . . .

وأخذ يوسف الجسد الذى كان يحبه ويشتاق إليه فابتدأ يقبله ويصب عليه الدموع ويتفكر فى نفسه ويقول إن كانت المرأة النازفة الدم إنما مست طرف ثوبه فقط نالت الشفاء فاذا يكون شأنى أنا الذى أمس جسد الله بعينه (١) » .

تراك يا يوسف ما إرتعبت وأنت حامل على يديك من ترهبه الشاروبيم . . . أتراك بأصبعك أغمضت عينى يسوع كما يليق بالموتى ذلك الذى بأصبعه الطاهر فتح عينى الأعمى ، أتراك أغلقت فم الذى شق اليد اليابسة ، وربطت رجليه ذلك الذى أعطى المشى للمقعد ، أتراك على سرير حملت من أمر المخلع أن أحمل سريرك ، أتراك نشفت جنب الجسم الإلهى وهو يقطر الدم ، ذلك الذى شق نازفة الدم ، أتراك غسلت جسد الإله بماء وهو الذى غسل الكل ووهب لهم الطهارة . . .

أترى أى مصباح أشعلت للنور الحقيقى المنير لكل إنسان ، أى تسابيح على القبر سبحت المسيح بها ، ذلك المسيح بلا فتور

(١) أضيفت عن ميمر للقديس اغريغوريوس أسقف نيصص .

من كل الجنود السمائية ، أتراك سكبت الدموع عليه مثل ميت ذاك الذى بكى وأقام لعازر الميت ، أتراك صنعت نوحاً على من وهب للكل الفرح .

إنى أطوبك يا يوسف ... يداك اللتان خدمتا يدى يسوع الإله وهما يقطران الدم ، يداك اللتان اقتربتا من جنب المخلص ، قبل تومـا إنى أطوب فمك الذى تمتع واتحد بفم يسوع بلا شبع . . أطوب عينيك اللتين وضعتهما على عينى يسوع وأخذت نوراً حقيقياً ، اغبط وجهك الذى دنا من وجـــه الإله ، رأسك الذى دنا من يسوع . أطوبك يا يوسف مع نيقوديموس فقد حملتما الإله وصرتما خداماً له . حقاً صارت معـــكما جميع الملائكة وكانت تحمله كل مراتب الذين لا أجسام لهم ، سار معـــكما السارافيم وسبحت معكما الرؤساء وارتعبت القوات وذهلت . . . ما هذا العجب . . . !

إن كنا نحزن على الذين تصيبهم المصائب فى هـذه الدنيا ، فكم بالحرى تحزن قلوبنا على الذين يطرحون نفوسهم فى عذاب جهنم بإرادتهم وهواهم ، وإن كان صعباً على من إعتاد التنعم أن يطرح فى الحبس ويرى فى ذلك أشد العذاب لما يراه من ضيق المكان وقذارته ووحشته ، بين اللصوص والقتلة ، فكم يكون

بـــكاء وحزن من يلقى فى النار التى لا تطفـــأ وليس لعذابها إنقضاء . . .

فالواجب أيها الإخوة أن يكون تفكيرنا فى هذا وأمثاله فى كل حين ، فإنه خير لنا أن نحزن قليلا ولا يستمر علينا البـــلاء دائماً . . . ولإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين ؟

مراجع الكتاب

(١) قديسو مصر (أوليرى) .

(٢) قديسو مصر (شينو) .

(٣) مجلة الآثار القبطية سنة ١٩٣٩ .

(٤) مخطوطة ٢٩٨ المتحف القبطى (طقس) .

(٥) مجلة معهد الدراسات القبطية .

(٦) مخطوطة ٢٩٦ طقس بالمتحف القبطى .

(٧) تفسير إنجيل متى لمار ديوفسيوس بن الصليبي .

(٨) مخطوطة رقم ٩٠ طقس بالمتحف القبطى .

(٩) السنكسار (جزءان) .

(١٠) سنكسار ريفيه باسيه .

(١١) ميامر السروجى .

(١٢) ميامر القديس أغريغوريوس اسقف نيصص

(٣) مخطوطة ٥٩ المتحف القبطى طقس .

(١٤) ميامر يوحنا ذهبى الفم